(أبو فراس الحمداني)

وهو من أهم الشعراء في تاريخ الشعر العربي، واسمه الأصلي الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الرَّبَعي، ولد أبو فراس الحمداني سنة 932م تقريبًا، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني الذي كان أمير دولة الحمدانيين والتي شملت مناطق واسعة من شمال سوريا والعراق في القرن العاشر الميلادي وكانت عاصمتها مدينة حلب، نشأ أبو فراس الحمداني في رعاية ابن عمه الأمير سيف الدولة في حلب فقد توفي والده وهو في عمر صغير، فنشأ شاعرًا وبطلًا وفارسًا، وصار من أهم المدافعين عن إمارة الحمدانيين ضد هجمات الروم البيزنطيين، وفي أوقات السلم كان في بلاط سيف الدولة إلى جانب الأدباء والشعراء يشارك في الجلسات التي تعقد ويتبادل فيها الحاضرون الشعر والأدب، تولى أبو فراس الحمداني مقاطعة منبج في حلب من قبَل ابن عمه سيف الدولة فأحسن الحكم فيها والدفاع عنها، وكان قد تعرض إلى الأسر في إحدى المعارك مع الروم وبقي في السجن مدة من الزمن، توفي تقريبًا في عام 968م وهو شاب لا يتجاوز عمره 36 عامًا.

شرح قصيدة أقول وقد ناحت بقربي حمامة

تعتبر هذه القَصيدَة من أشهر قصائد الشاعر أبي فراس الحمداني، فقد كتب الشاعر هذه القصيدة عندما كان أسيرًا في سجنه في القسطنطينية، وقد سمع صوت حمامة من نافذة السجن، وكان مطلع القصيدة: أَقولُ وَقَد ناحَت بِقُربي حَمامَةٌ أَيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي، وهي قصيدة قصيرة كتبها الشاعر على البحر الطويل وقافية اللام المكسورة، ويبلغ عدد أبيات القصيدة كاملة 7 أبيات فقط:

أَقولُ وَقَد ناحَت بِقُربي حَمامَةٌ — أيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي (1)

مَعاذَ الهَوى ماذُقتِ طارِقَةَ النَوى — وَلا خَطَرَت مِنكِ الهُمومُ بِبالِ (2)

أَتَحمِلُ مَحزونَ الفُؤادِ قَوادِمٌ — عَلى غُصُنٍ نائي المَسافَةِ عالِ (3)

أَيا جارَتا ما أَنصَفَ الدَهرُ بَينَنا — تَعالِي أُقاسِمكِ الهُمومَ تَعالِي (4)

تَعالَي تَرَي روحاً لَدَيَّ ضَعيفَةً — تَرَدَّدُ في جِسمٍ يُعَذِّبُ بالِ (5)

أَيَضحَكُ مَأسورٌ وَتَبكي طَليقَةٌ — وَيَسكُتُ مَحزونٌ وَيَندِبُ سالِ (6)

لَقَد كُنتُ أَولى مِنكِ بِالدَمعِ مُقلَةً — وَلَكِنَّ دَمعي في الحَوادِثِ غالِ (7)

(1) ناحت: بكت بصوت مرتفع مع العويل، يبدأ الشاعر قصيدته بمخاطبة حمامة كان قد سمع تغريدها من نافذة السجن الذي يقبع فيه في القسطنطينية فخاطبها قائلًا: لقد سمعت صوت تغريد الحمامة قريبًا مني وكأنها تبكي وتنوح حزينةً على أمر ما، فيا جارتي العزيزة الحزينة مثل حالتي هل تحسين بي وتشعرين بما أعاني منه ولذلك بدأت النواح عليَّ.

(2)معاذ: اللجوء والاعتصام، طارقة: المصيبة من الأمور التي تطرق ليلًا، النوى: البعد والفراق، خطرت: وقعت أو مرت مرورًا عابرًا ، هنا يقول: بالتأكيد أنت لم تعاني ما أعاني منه أنا في الهوى، ولم تذوقي في حياتك أيتها الحمامة الحزينة ما ذقته أنا في حياتي من البعد، وبالطبع لم تدخل الهموم إلى نفسك أبدًا ولم تخطر في بالك على الإطلاق.

(3)قوادم: أرجل وأقدام، نائي: بعيد ومرتفع، هنا يقول الشاعر: ولكن الغريب في الموضوع الذي أتعجب منه، هل يمكن أن تحملي أيَ حزنٍ بداخلك وأنت تقفين على قدميك على غصن شجرة مرتفع، وأنت حرة طليقة لا شيء يقيدك ولا شيء يمنعك من التحليق والطيران.

(4) هنا يخبرها الشاعر أنَّ الزمن لم يكن عادلًا في الحكم بينه وبينها فيقول لها: لم تكن هذه الأيام عادلةً فيما بيننا، فقد منتحك الحرية المطلقة دون قيد أو حد، وها أنت تنوحين وتحزنين مثل حزني رغم أنني أنا الواقع في الأسر والمسجون خلف القضبان، فاقتربي منى حتى أقول لك ما عندي من هموم وأشجان.

(5)تردد: تتردد بمعنى تخرج وتعود إليه، بالٍ: بالي من البلى أي مهترئ أهله الألم والحزن، يخاطب الشاعر الحمامة بهذا البيت بأن اقتربي مني أيتها الحمامة الحزينة حتى تري ما بي، فإنَّني أمتلك الآن روحًا ضعيفةً جدًّا لم تعد تقوى على الصمود، وهي تخرج من جسدي وتعود إليه مرارًا وتكرارًا بسبب ما ألاقيه من العذاب في هذا السجن.

(6)سالٍ: السالي بمعنى الناسي أو الغافل غير المشغول ولا المحزون، يقول: والعجيب والأكثر غرابة في الموضوع، أنني رغم ما بي من أسر وسجن وعذاب أضحك وأواسي حالي بحالي، وأنت رغم أنك حرة طليقة لا شيء يعكر صفو حياتك تنوحي وتندبين حظك على غصن الشجرة، وأنا صامت لا أنوح ولا أندب.

(7)يقول: في الحقيقة أنا الذي كان يجب أن يبكي ويهدر الدموع على ما به من مصائب وهموم وأحزان، لأنني واقع في الأسر وأعاني ويلات السجن، ولكنَّ دموعي غالية جدًّا في المصائب ولا أذرفها بسهولة وكيف ما اتفق